

عصور ما قبل التاريخ:

العصر الحجري القديم:

يبدأ هذا العصر في مصر مع بداية استيطان الإنسان في دلتا وادي النيل، لاسيما بعد تكون نهر النيل، فبعد أن انتهت العصور الجليدية ارتفعت درجة حرارة منطقة الصحراء الإفريقية الكبرى وشبه جزيرة العرب، وحل الجفاف في هاتين المنطقتين، فهاجر غالبية السكان نحو الأراضي الخصبة الوفيرة المياه ومنها دلتا وادي النيل، نتيجة لهذه الهجرات أصبح سكان وادي النيل خليط من أجناس عربية هاجرت إلى مصر من شبه جزيرة العرب عبر سيناء، وأجناس حامية سمراء من شمال إفريقيا، وزنجية هاجرت من أوسط إفريقيا لاسيما الصحراء الكبرى، وغير زنجية من جنس البحر المتوسط هاجرت عبر سيناء أيضاً، ونتج عن هذا الاتصال بين هذه الأجناس الإنسان المصري القديم، وكان هذا الإنسان صياداً ماهراً ترك لنا الكثير من أدواته التي صنعها من الحجر والعظام، ووجدت آثار الإنسان المصري في العصر الحجري القديم في مناطق وادي حلفا والعباسية والسبيل.

العصر الحجري الحديث (٧٥٠٠-٤٥٠٠ ق.م):

حدث في هذا العصر انقلاباً في حياة الإنسان، فبعد أن ازداد الجفاف في أفريقية وفي وادي النيل، التجأ صيادو العصر الحجري القديم من جانبي وادي النيل إلى قرب نهر النيل، وفي عصور لاحقة قاموا بزراعة الأرض الجديدة الصالحة للزراعة والوفيرة المياه، ودجنوا الحيوانات، وجففوا الأهوار وظهروا الغابات ونظموا مياه الإرواء، الأمر الذي يعني بداية الاستقرار والاستيطان، والانتقال من مرحلة جمع القوت إلى إنتاج القوت، وتمكن إنسان وادي النيل أن يتقدم بشكل ملحوظ في صناعة الفخار، وأتقن صقل الأدوات الحجرية، ومن أهم المواقع الممثلة لهذا العصر هو: دير طاسة والفيوم والعمرة وحلوان وجرزة والمرمدة والبداري.

العصر الحجري المعدني (٤٥٠٠-٢٨٥٠ ق.م):

يمثل هذا العصر عصر فجر الحضارة، إذ يعد فترة تمهيدية لظهور الحضارة الناضجة في بلاد وادي النيل، وسمي الحجري المعدني لدخول المعدن لاسيما النحاس في صناعة أدوات إنسان وادي النيل، واتسعت الزراعة في هذا العصر واتسعت معها القرى الزراعية، وبدأت تظهر أولى التنظيمات السياسية التي تطورت فيما بعد إلى دولة المدينة التي اتحدت في فجر الحضارة وكونت المملكة المصرية، كما تطور فخار هذا العصر من حيث الصناعة والشكل، وسكن المصريون في هذا العصر في بيوت بيضاوية أو مستديرة مبنية من مواد خفيفة، كما عرفت في هذا العصر صناعة النسيج بدلالة وجود قطع من الكتان، ودفنوا موتاهم في قبور شبيهة بمساكنهم بيضاوية أو مستديرة، وكان الميت يوضع في حصيرة أو جلد ويدفن في قبر ويكون متجهاً نحو القرية حاملاً في يديه أدواته ومتاعه، كما كانوا يضعون القرابين إلى جانب الميت، مما يدل على اعتقادهم بتردد الروح على القبر، وكان لسكان هذا العصر في وادي النيل بعض الطقوس الدينية بدليل وجود التمام ودفن بعض الحيوانات كالثور والكلب والشاة والماعز، وقد عثر الآثاريون في وادي النيل على آثار قرى متعددة تمثل أدوار هذا العصر، إذ تميز كل دور بآثاره الخاصة وفخاره وطرزه وزخرفته الخاصة، وسمي كل دور من هذه الأدوار بأسماء حديثة نسبةً للمواقع التي نقت فيها لأول مرة ووجدت فيها الآثار المميزة لكل دور، ومن المواقع الممثلة لهذا العصر البداري الذي يعد أقدم أطوار هذا العصر، والأماري ونقادا الأولى ونقادا الثانية والجرزي.

وتجدر الإشارة إلى أن الآثاريون لم يعثروا على آثار مصرية في حضارة بلاد ما بين النهرين، بل بالعكس وجدوا آثاراً تعود لحضارة بلاد ما بين النهرين في وادي النيل، وتعود هذه التأثيرات إلى العصر الشبيه بالكتابي والعصر التاريخي (طوري الوركاء وجمدة نصر)، ومن هذه التأثيرات طرز العمارة الخاصة ببلاد ما بين النهرين كالحزوز في الجدران على هيئة طلعات ودخلات، واستعمال طرز الفخار والأختام الاسطوانية التي كانت تستورد من بلاد ما بين النهرين في البداية ثم صنعها المصريون فيما بعد، والكتابة المسمارية هي التي

حفزت المصريين على اكتشاف الكتابة الهيروغليفية، كما انتقلت إلى المصريين طراز لباس الأبطال في بلاد ما بين النهرين، واستعملوا رؤوس الدبابيس الحجرية الخاصة بحضارة بلاد ما بين النهرين.

العصر التاريخي:

عصر تكوين الأسرات

ظهرت أولى أشكال السكن لجماعات بشرية حول وادي النيل منذ حوالي ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد في شكل جماعات جامعة لاقطة وصائدة تستخدم أدوات حجرية، واستمرت في النزوح إلى ضفاف نهر النيل مع ازدياد الجفاف (٨٠٠٠ ق.م)، إذ تحولت المراعي إلى صحارى، وكذلك تحولت المستنقعات المجاورة للنهر إلى أراضي صالحة للسكن، لتظهر آثار استقرار وزراعة مبكرة للحبوب في الصحراء الشرقية في أواخر الألف السابع قبل الميلاد.

ويمثل عصر تكوين الأسرات فيما بين عامي ٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق.م، وهي تتوافق مع الدور الأثري المعروف باسم (نقادا الثالثة)، وتعرف تلك الفترة أحياناً باسم الأسرة صفر، أو عصر ما قبل الأسرات المتأخر، تميز عصر تكوين الأسرات بميزتين: أولهما أن ذلك العصر هو الذي بدأ فيه المصري مرحلة التوحيد السياسي، ثانيهما أنه العصر الذي بدأت فيه عملية تدوين اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية).

بدأ تكوين الدولة أثناء تلك الحقبة، وربما قبل ذلك، وظهرت الكثير من دويلات المدن في تلك الفترة على جانبي نهر النيل، إذ كانت نحو ٤٢ دولة مدينة، ولكل مدينة أو ولاية ديانتها الخاصة وآلهتها الخاصة ونظامها السياسي الخاص، وبدأ صراع بين ممالك المدن هذه في محاولة للتوسع إحداهن على حساب الأخرى، وتقلصت على مر القرون إلى مملكتين منفصلتين: مملكة جنوبية في مصر العليا (الوجه القبلي) (أرض الصعيد)، وعاصمتها (نخن)، وتمتد من أسوان إلى قرب منفس، ورمز هذه المملكة الحية، ومملكة شمالية تشمل باقي مصر في مصر السفلى (الوجه البحري) (الدلتا البحرية) في الشمال، وعاصمتها (بوتو) في الدلتا، ورمز هذه المملكة النحلة، ويعتقد المؤرخون أن مملكة مصر السفلى خضعت سلمياً لمملكة مصر العليا، وعُدَّ الملك نعرمر أول من وحد مصر في القرن الرابع والثلاثين قبل الميلاد، وأسس بذلك أول أسرة فرعونية، واتخذ من

مدينة **منفس** القريبة من الحد الفاصل بين مصر العليا والسفلى **عاصمة** لمملكته الموحدة الجديدة، وتؤكد **لوحة نعرمر** الشهيرة المكتشفة في **هيراكونبولس** نظرية أن **(نعرمر)** كان **موحد المملكتين**، والتي يظهر فيها **نعرمر** حاملاً شعاري مصر العليا **(الحية)** ومصر السفلى **(النحلة)**، وتجدر الإشارة إلى أن **توحيد** المملكتين **يعزى** للملك **مينا**، وهذا ما تذكره قائمة **مانيتو** بجانب كونه أول الملوك الفرعنة، وهذا ما جعل بعض العلماء يعتقدون أن **مينا** و**نعرمر** هما **نفس الشخص**، بينما يعتقد علماء آخرون أن **مينا** هو **حورس آخا** وأنه ورث حكم مصر التي وحدها **نعرمر** من قبله، في حين أن علماء آخرون يعتقدون أن **نعرمر** بدء عملية التوحيد وأنه **نجح جزئياً**، تاركاً إكمال المهمة لـ**(مينا)**، وهناك نظرية أخرى مساوية في الاحتمال وهي أن **نعرمر** أعقب مباشرة الملك الذي وحد مصر (والذي ربما كان **الملك العقرب** الذي وُجد اسمه على **صولجان** في **هيراكونبولس**)، ومن ثم اتخذ نفس رموز توحيد الشطرين التي كانت مستعملة قبله لمدة جيل، ويجب ملاحظة أنه بينما كان هناك الكثير من الأدلة الملموسة على وجود فرعون اسمه **نعرمر**، فلا يوجد أي دليل عدى قائمة **مانيتو** و**الأسطورة** على وجود الملك **مينا**، وهناك قائمة الملوك المكتشفة حديثاً في مقبرتي **دن** وقاعا تذكر **نعرمر** كمؤسس لهذه الأسرة المالكة، واسم **نعرمر** يعني **القرموط الغاضب**.

الأسرتين الأولى والثانية:

واتخذ ملوك السلالة الأولى (٣١٠٠-٢٨٢٠ ق.م) أسلوب الإدارة المركزية والسلطة المطلقة في إدارة البلاد، ويساعد الملوك موظفو البلاط، أما طبقة النبلاء والأمراء فهي الأخرى تساعد الفرعون في إدارة الدولة، وتعيش هذه الطبقة في قصور مجاورة لبلاط الملك، ويدفن هؤلاء بعد وفاتهم بجوار الهرم، دلالة على تعلقهم بملكهم في الحياة الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن لقب فرعون يعني (البيت العظيم)، وهو يشير إلى القصر الملكي، وقد ورد لأول مرة في النصوص الهيروغليفية من عهد الملك خفرع (السلالة الرابعة)، ولم يستعمل كلقب رسمي للملوك المصريين إلا في عهد السلالة الثامنة عشر (عهد الإمبراطورية)، والملاحظة الأخرى هي أن ملوك مصر منذ السلالة الأولى بدئوا يفكرون بطريقة دفن تضمن عدم تلف قبورهم، فبنوا لهذا الغرض بناءً ظاهراً مشيداً من اللبن فوق حفرة الدفن عرف باسم (المصطبة)، وقد زينوا هذه البنايات من الخارج بطراز معماري عبارة عن طلعات ودخلات على غرار طرز العمارة في بلاد ما بين النهرين.

هذا ولم تبق الوحدة السياسية التي أنجزتها الأسرة الأولى موطدة بشكل دائم، إذ استمرّ النزاع بين الشمال والجنوب في عهد الأسرة الثانية (٢٨٢٠-٢٦٧٠ ق.م)، التي أسسها الملك (حوتب سخموي)، ثم جاء بعده (خع سخموي) ويعني اسمه (الاثنان القويان) أي الإلهين (حور) و(ست)، وتشير النصوص الهيروغليفية إلى أن الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب لم تكن دائمة، مع ضرورة الإشارة إلى أن عهد (خع سخموي) امتاز بالتقدم والسلام والهدوء لاسيما وأنه نجح في القضاء على عوامل الفتنة التي كادت أن تؤدي إلى هلاك البلاد ودمارها، حينما غزا الشمال، واتخذ من (منفس) مركزاً لحكمه، وقد حصل ذلك بعد أن ثار الملك (بري اب سن) على عبادة (حورس)، وأدت هذه الثورة إلى اضطراب الأحوال في مصر خلال النصف الثاني من أيام الأسرة الثانية وما تبعه من تطاحن في البلاد وهو الحال الذي لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما عاد الاستقرار إليها وتقدمت في شتى نواحي الحياة، لاسيما مع تولي الملك (زوسر) الحكم فيها

مؤسساً أسرة مالكة جديدة الأسرة الثالثة وليبدأ عصر جديد تمثل بعصر الدولة القديمة.

وأهم التطورات الحضارية في عهد الأسرة الثانية هو دخول كسر الحجارة في بناء قبور ملوك مصر، كما وسعوا غرف الدفن بحيث صارت تحتوي على أكثر من حجرة لخرن الأثاث والحاجات، واستمر حكم الأسرتين الأولى والثانية للمدة (٣١٠٠-٢٦٧٠ ق.م).